فكاهات

نتيجة الحقد[1]

كان للدوج بادولّي احد عظمآء الطليان شهرة واسعة وغنى وافر وكان منطبعاً على طيب القلب وحسن السجايا متحلياً باجمل الصفات الادبية فسار ذكرهُ في الايالات الايطالية وانتخبتهُ لمبرديا دوجاً عليها . ورزقهُ الله ولدين كان بينهما عشر سنوات يُدعى اكبرهما لويجي والآخر مانولي . ومن سنّة كبار الرجال في اوربا ان تهتمّ بابكارها فلا بد للاب من تفضيل ولدهِ البكر على بقية اولادهِ لاعتقادهِ انهُ يكون بعدهُ المحافظ الوحيد على اسم اسرتهِ وشرف محتدها وتدبير شؤونها وضبط ثروتها بحيث لا تتغير منزلتها على توالي الزمن . فصرف الدوج بادولّي همهُ الى بكرهِ لويجي واعتنى بتثنيفهِ وتهذيبهِ واجرآئهِ على نفس خطتهِ ومع ذلك فلم يهمل امر مانولي كل الاهمال ولكنهُ لم يبذل فيهِ من العناية مثل ما بذل في امر اخيهِ فربي هذا حسوداً ماكراً طائشاً مسرفاً كاولاد الرعاع . ومما زاد في الطين بلة ان الدوج كتب وصيتهُ قبل وفاتهِ فالقى بمهمات منصبهِ الى بكرهِ لويجي وصرّفهُ في مالهِ وعقارهِ تاركاً جزءاً قليلاً جدًّا لصغيرهِ مانولي . وكان يرى الدوج في بكرهِ آية الحكمة ومنتهى الكمال فيتهلل قلبهُ فرحاً وسروراً ولما كملت ايامهُ المعدودة في عالم الشقآء ودنت ساعة الفراق ضمّ لويجي الى صدرهِ مودعاً وقال لهُ ساموت مسروراً يا ولدي مطمئنّ البال باني قد تركت من يحافظ من بعدي على اسم اسرتنا الشريف ويقوم بمهماتها احسن مما كنت افعل انا

وحقق لويجي آمال والدهِ بعد وفاتهِ ونال شهرةً اعظم من شهرتهِ وحبًّا واعتباراً اكثر مما نال والدهُ . ثم تزوج ورزقهُ الله ولداً ذكراً دعاهُ باسم ابيهِ البرتو . وشعر

(١) معربة عن الطليانية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لويجي بانكسار نفس اخيهِ مانولي لتفضيلهِ عليهِ فكان يفرغ جهدهُ في ازالة هذا الاثر من قلبهِ واقناعهِ بانهُ ولو ميزهُ الاتفاق وشرائع البلاد عن اخيهِ فهو لا يرى هذا التمييز ويحسب انهُ واخاهُ شخصٌ واحد . وكان يرفع منزلتهُ في عيون الناس ولا يفضل نفسهُ عليهِ في شيء فضلاً عما كان يسوقهُ اليهِ من العطايا المادية والهبات الوافرة . وتزوج مانولي ايضاً فولد لهُ ابنةٌ دعاها مرغريت كانت آيةً في الجمال يتسابق اشهر مصوّري الطليان لتمكن من رسم صورتها

وحدث ان خرج لويجي وزوجتهُ يوماً في عربتهِ الخاصة طلباً للنزهة و بلغا غابة من الاشجار الكثيفة فجمح بهما الجواد ودخل بين تلك الاشجار ولم يستطع لويجي كبح جماحهِ فاوصلهما الى حافة منحدرٍ سقطت العربة من اعلاهُ ولم تزل تتدحرج حتى بلغت الحضيض . وكان هناك بعض الفعلة فبادروا لتدارك الحادث فوجدوا العربة كسرًا والجواد قطعاً ولويجي وزوجتهُ مهشمي الاعضآء تسيل الدمآء من جروحهما فحملوهما الى البيت واستدعيت نطس الاطبآء لمعالجتهما فوُجد ان تلك السيدة السيئة البخت قد فارقت الحيـاة اما لويجي فكانت تنبئ جراحهُ الخطرة والعظم المتهشم في صدرهِ انهُ لن يشفى الا باعجوبةٍ سماوية . فاهتمت الاسرة بدفن الزوجة المسكينة ورفع الابتهالات وتقديم النذور لشفآء لويجي . و بعد ان قضى ما ينيف عن ثلاثة اشهر بين ايدي اطبآئهِ نقه وتعافى فخرج كعادتهِ الى اشغالهِ ولكنهُ كان قد اثر فيهِ فراق زوجتهِ اشد التأثير فلم يعد يُرى مبتسماً وصارت هيئة وجههِ النضر اشبه بلوحٍ قد رُسم عليهِ اليأس والشقآء . واجتهد الاطبآء والاصدقآء في تسليتهِ والتهوين عليهِ فلم يتمكنوا من اطفآء تلك الجمرة من صدرهِ ولم يمضِ على ذلك الا قليل حتى ابتدأت فيهِ اعراض السلّ فايقن الاطبآء بهلاكهِ العاجل

وفي السنة الرابعة عشرة من عمر البرتو توفي والدهُ لويجي مأسوفاً عليهِ مبكًى من جميع من عرفهُ ولو بالاسم . وحزن البرتو جدًّا ولكنهُ لم يقدر هذا الفقدان حق قدرهِ لصغر سنهِ فما عتم ان نسي والديهِ كانهما لم يكونا . وانتقل عمهُ مانولي باهل بيتهِ الى قصرهِ فاقام بهِ وصيًّا على البرتو ورأى هذا في مرغريت فتاةً فتانة

ابهى طلعةً من شمس الضحى وارق لطفاً من نسمات السحر فنسي العالم وما فيهِ واعتقد انهُ انما اوجد الله الكون لهُ ولابنة عمهِ ليرتعا فيهِ ويمرحا

ورأى مانولي حيثما ذهب ان الاجلال والاكرام انما يقدَّمان الى ابن اخيهِ الحديث السن وهو لا ينالهُ شيءٌ من ذلك . وفوق هذا انهُ لا يستطيع التصرُّف في شيءٍ من المال ان لم يستأذن ذلك الولد فكبر عليهِ الامر واوغر صدرهُ شيطان الحسد فاضمر لالبرتو سوءًا ولكنهُ لم يجد الطريقة لاذيتهِ فصبر على احرّ من الجمر وعمد الى نكاية الولد ما امكنهُ . ورأى انعطاف الولد نحو ابنتهِ مرغريت وانهُ لا يصفو عيشهُ الا باجتماعهِ بها فحال بينهما وتهددهما بالعقاب الشديد ان رآهما مجتمعين . فكان هذا المنع والتهديد مما اذكى جمرة الحبّ بين ذينك القلبين الطاهرين وزاد الشغف والهيام في صدريهما فامتنعا في الظاهر عن الاجتماع واظهرا الانقطاع التام وساوّا احدهما للآخر ولكنهما كانا يترصدان فرص الاجتماع كلما عنت لهما خلسةٌ فيطفئان ما بهما من غليل الوجد . وزاد الحسد والغيرة في قلب ما نولي والد الفتاة ولم يخفَ عليهِ تمكن علائق الحب بين الولدين فضاقت الدنيا في وجههِ ورأى انهُ لا صبر لهُ على الاقامة في منزلٍ ليس هو فيهِ المالك المطلق الحكم فاصبح يوماً وقد حمل زوجتهُ ومرغريت وعاد بهما الى بيتهِ تاركاً البرتو في ايدي خدم القصر وعناية وكيل املاك ابيهِ . وجآء عمل مانولي هذا ضربةً قاضية على سعادة البرتو وصفآئهِ لانهُ لم يكن يترقب فراق حبيبتهِ فلما جآءت العربة لتأخذها ووالديها خرج الى الحديقة ووقف محدقاً ببصرهِ وهو كاسف الوجه دامع العينين ولما مرَّت امامهُ مرغريت ورأتهُ على تلك الحالة لم تملك نفسها من البكآء وخشيت ان يلحظ ذلك والدها فاطرقت الى الارض كانها تصلح رباط حذآئها وسكبت دموعاً سخية . ولما ابطأت على تلك الحالة تقدم والدها فرفعها ولما رأى دموعها هاج بهِ الغضب فرفع يدهُ وصفعها على وجهها فسقطت الى بُعدٍ منهُ على الارض وساعدها ذلك على اطلاق عنان ما كتمت من عواطفها فجعلت تنتحب من قلب جريح واسرعت والدتها فانهضتها وادخلتها العربة وساروا جميعاً . اما البرتو فكان الحزن يقطع انفاسهُ وهو

يرافق مسير حبيبتهِ بعينهِ الباكية حتى اذا رأى والدها قد ضربها تلك الضربة القاسية تنهد من كبدٍ حرَّى ثم شعر ان ضبابةً كثيفة قد غشيت عينيهِ فسقط الى الارض على بقعةٍ من الحشيش الاخضر ولم يفق من غشيتهِ الى ان مال النهار

وقاسى البرتو في الايام الاول من فراق حبيبتهِ آلاماً لا تطاق فانهُ كان مضطرًّا الى كتمان ما بهِ وهو لا يرى لهُ والدًا شفيقًا يخفف من بلواهُ ولا والدةً حنونًا تمسح دموع حزنهِ ولا اليفًا يبثهُ شكواهُ . ولما غلبهُ الوجد ولم يعد في طاقتهِ الاحتمال عزم على زيارة مرغريت وقام صباح يومٍ فامر بعربتهِ وتوجه الى بيت عمهِ . فاعترضهُ في الباب خدام المنزل ومنعوا دخولهُ بناءً على اوامر مولاهم فلم يثنهِ ذلك عن عزمه ولما كثر اللجاج بينهُ وبين الخدم بلغ الامر عمهُ فجاء مسرعاً و بيدهِ عصاً رفعها مهددًا البرتو بشق جمجمتهِ ان هو تجاسر على وضع قدميهِ في ملكه ثم طردهُ شاتمًا لاعنًا باقبح الكلام . فعاد البرتو وهو يرى اسهل ما عليهِ الانتحار تخلصاً مما لم يعد صدرهُ يطيق احتمالهُ ولما بلغ منزلهُ دخل غرفتهُ واستخرط في البكاء معطيًا نفسهُ مداها

ومضت عليهِ ايامٌ خطفت لون وجههِ الوردي وخطت على جبهتهِ علامات الفكر والهموم . ولما ضاق بهِ الامر اخذ يفكر في استنباط وسيلةٍ يتمكن بها من الاجتماع بحبيبتهِ سرًّا عن ابيها مهما كلفهُ ذلك من العناء والمشاق وقرّ قرارهُ اخيرًا على الذهاب اليها ليلاً في بيت ابيها من طريقٍ لا يمنعهُ فيها احد ولا يراهُ رقيب. و بعد ما اتمّ تدابيرهُ خرج ذات ليلةٍ من منزلهِ وقد تأبط سلماً من الحبال وسار مستترًا تحت ظلام الليل الحالك حتى بلغ منزل عمهِ وكان يعرف غرفة مرغريت فاحتال بعد عناءٍ جزيل على ايصال حبالهِ الى نافذتها فعلقت برزازها ولما تحقق تمكنها رقي السلم و بلغ النافذة فقرع عليها بلطف . وكانت مرغريت تجهل قدومهُ فلما شعرت بالحركة ارتعش جسمها ولم تجسر ان تنزل من سريرها لتنادي الخدم ثم خطر لها ان اللص اذا جاء للسرقة فهو لا يقرع اشعارًا بقدومهِ واوحى اليها الحب ان ليس في الامر خطرٌ فتشجعت وقامت الى النافذة وقالت بصوتٍ ناعم خفيف من هذا . فاجابها البرتو انا حبيبكِ يا مرغريت . فلم تعلم كيف تفتح النافذة

وقابلت وجه حبيبها ودار بينهما حديث اسرّ من ظلمة الليل واطهر من نسمات الصباح

وكان والد مرغريت قد قضى ليلتهُ في بعض المنتديات وعاد الى بيتهِ في ساعة متأخرة فلما قرب من منزلهِ شعر بشيءٍ لطم قبعتهُ فاوقعها الى الارض فتوقف فجأةً واخذ يتلمس ما حولهُ حتى عثر على الحبال فادرك شيئاً من الامر واسرع فنادى بعض رجال الشحنة وايقظ خدمهُ وهو يعتقد ان لصاً طرق بيتهُ . و بينما الحبيبان يتمتعان بذلك الاجتماع ما شعرا الا و باب الغرفة يعالج من الخارج فاسرع البرتو في النزول وما بلغ منتصف السلم حتى شعر بوطء اقدام الشحنة وقعقعة اسلحتهم فتوقف هنيهةً ثم اسرع فعاد الى غرفة حبيبتهِ ووثب الى داخلها وقبل ان تدري مقصدهُ هجم الى خزانتها ففتحها وحمل منها علبةً كانت اودعت فيها حليها وارتدّ باسرع من لمح البصر الى النافذة ونزل الى الارض فما بلغها حتى قبضت عليهِ الشرطة والعلبة في يدهِ فلم يشكوا في كونهِ سارقاً واقتادوهُ الى السجن . وكانت الشرائع الطليانية تقضي على السارق باعظم العقوبات فحُكم على البرتو ان يُطاف بهِ في شوارع المدينة ثم يعاد الى دار الحكومة فيجلد خمسين جلدةً ويلقى في السجن سنتين . فسمع البرتو الحكم صامتاً خاضعاً ولم يفه ببنت شفةٍ سوى انهُ تنهد من قلبٍ جريح وخرجت من بين شفتيهِ زفرة تدل على حرارة النار المتأججة في صدرهِ

وكان تأثير تلك الليلة على مرغريت شديداً فاصابها انحراف الزمها الفراش فلم تعلم شيئاً مما جرى على حبيبها الى اليوم الثاني حين قرأت الجريدة اليومية وفيها ذكر الحادثة والحكم الذي سينفذ في الغد فطار رشدها وادركت ان حبيبها قد آثر ان يُتهم بالسرقة وينالهُ العقاب على ان يشين اسمها بشيءٍ . فاظلمت الدنيا في وجهها وقالت كلا لن ينال حبيبي سوءٌ ولا يلحق اسمهُ العار وانا حيةٌ ارزق

وفي صباح الغد اجتمعت الجماهير العديدة الى دار الحكومة لمشاهدة طواف البرتو وجيء بمركبة زرية كدكةٍ مرتفعة تقودها الكلاب وهي المعينة لحمل البرتو في طوافهِ ولما دنت الساعة المعينة اخرجوهُ من سجنهِ ووضعوهُ مقيداً على العربة وهو صامتٌ مطرق الرأس خجلاً يفتت الفؤاد منظرهُ . و بينما الشرطة والجماهير في انتظار الامر

للمسير اذا بالنائب العمومي قد جآء يشق الجموع حتى بلغ المركبة فحل وثاق البرتو وانزلهُ ثم قبلهُ وجعل يردد لهُ عبارات الاعتذار واقتادهُ بيدهِ الى داخل الدار والبرتو لا يدري بمَ يعلل هذا الصنيع حتى اذا بلغ غرفة القضآء رأى حبيبتهُ مرغريت تبتسم لهُ فعلم للحال انها هي جآءت الى النائب واخبرتهُ بالواقع كما حصل . واستطار الخبر بين تلك الجماهير المحتشدة فعادوا متفرقين الى بيوتهم واشغالهم وهم معجبون بشهامة البرتو وشجاعة مرغريت وحبها

اما والد مرغريت فشاهد وسمع وارغى وازبد وتوعد ابنتهُ وحبيبها بالانتقام . ثم استدعاهُ النائب العمومي وجلس الجميع يتحادثون في الامر وسعى القضاة في التوفيق بين البرتو وعمهِ فابى العم ذلك وقال لهم انهُ يفضل ان يخنق ابنتهُ بيدهِ على ان يزوّجها من البرتو . ولما طال الجدال ولم ير ذلك الوالد الظالم لهُ مخرجاً من براهين القضاة والحاحاتهم قال ان الاثنين لا يزالان قاصرين وانا القيم عليهما فلن يشاهد بعضهما بعضاً ولن يتبادلا كلمةً ولا يجبرني على تغيير عزمي هذا شيءٌ من قوات السماوت والارض ما دمت حرّ التصرف في ما هو من ولايتي وفي بلادٍ ليس شعبها من العبيد الارقآء .وستبلغ مرغريت الثامنة عشرة من سنيها في العام المقبل ويبلغ البرتو الحادية والعشرين بعد سنتين فتى ادركا سن الرشد فهما وشأنهما اما قبل ذلك فتحويل عزمي من المحال . وكان قد فكر في نفسهِ انهُ في تلك الاثنآء اما يرغم ابنتهُ على الاقتران بمن يريدهُ هو او يحتال في ابعاد البرتو او اهلاكهِ اذا اقتضى الامر . ولما رأى القضاة اصرارهُ وتصلب رأيهِ قال لهُ النائب العمومي حسناً قلت يا هذا فلندعهما الى ان يبلغا رشدهما ولكنني انذرك من الآن ان الحكومة تراقب حركاتك باعين متيقظة فاذا ظهر منك في حق ابنتك او في حق البرتو شيءٌ من اعمال القساوة او مما يلقنك اياهُ ابليس فاعلم اني انا خصمك والقضآء رقيبك. وانفضت الجلسة على ذلك فنهض مانولي وعاد بابنتهِ ورجع البرتو الى منزلهِ . وتوقف البرتو الى وجود خادمة امينة كانت توصل الرسائل بينهُ وبين مرغريت فلم يشعر بها احد ولم يهتدِ مانولي الى ذلك مع كل اجتهادهِ في ملاحظة الحبيبين والتضييق عليهما

وانقضت السنتان فبلغ البرتو سن كمالهِ واصبح في ذلك النهار كعادتهِ واذا بوكيل املاك اسرتهِ قد دخل عليهِ واخبرهُ انهُ عملاً بارادة ابيهِ وطبقاً لشرائع البلاد و بتصديق عمهِ يسلم اليهِ الاملاك والمقتنيات ويطلق لهُ الحرية التامة في ما يشآء ان يفعل . وكان البرتو مهتماً بغير هذا فالقى نظرةً سانحة على الدفاتر والاوراق التي قدّمها لهُ الوكيل ثم قال لهُ اني اعرفك يا فكتور كما عرفك ابي آية المهارة والامانة والذكآء فارجو منك ان تبقى في وظيفتك عندي وتحمل عني عبء هذه الاعمال واني من الآن ازيد في راتبك الفي فرنك سنويًّا . فشكرهُ فكتور وعاد الى اعمالهِ وقد تولد في قلبهِ حبّ عظيم لالبرتو وغيرةٌ كبيرة على مصلحتهِ

وما صدق البرتو ان تناصف النهار فارتدى ثيابهُ وخرج من البيت وكلهُ آمال وسار الى بيت عمهِ وهو يدبر في فكرهِ ماذا يفعل وماذا يقول . ولما بلغ القصر استقبلتهُ مرغريت فاخذتهُ الى غرفتها وجلس الاثنان يتشاكيان ويتحادثان ويرسمان القصور التي عزما على بنآئها . ومضت عليهما ساعات لم يشعرا بمرورها فقال البرتو واين والدكِ الآن لاقابلهُ واقتاضاهُ الوعد . قالت قد خرج منذ الصباح ولم يعد ولكن هل تظن انهُ يرضى عن زواجنا الآن . قال لقد اصبحنا الآن قيمين على انفسنا ولا حكم لهُ علينا فان لم يرضَ طوعاً فسأجبرهُ على ذلك فاني كنت احترمهُ قبل ان تحققت انهُ ظالمٌ غشوم . ولم يكد البرتو يتمّ كلامهُ حتى فُتح باب الغرفة بعنفٍ شديد ودخل منهُ والد مرغريت وهيئة الغضب الشديد مرتسمة على وجههِ فقال انت تجبرني يا لئيم . لا ولستُ بمبقيك حيًّا الى ان تفعل . ثم تناول من الحائط سيفاً كان معلقاً للزينة فاستلهُ وهجم على البرتو ونار الانتقام تتقد في عينيهِ . ورأى البرتو تصميم عمهِ على قتلهِ فاخذ كرسيًّا كان بجانبهِ وجعل يتلقى بهِ ضربات عمهِ الشديدة مدافعاً عن نفسهِ ومتوسلاً اليهِ بألطف العبارات وارق الكلام ان ينزع الحقد من قلبهِ ويصفو لهُ صدرهُ وانهُ يعتبرهُ كابيهِ فلم يزدد الرجل الاسخطاً وغضباً وجعل يتابع ضرباتهِ القوية وقد اصابهُ شيء من الجنون فتحطم الكرسي في يدي البرتو وعمد الى غيرهِ وقد ايقن ان لا نجاة لهُ من يدي عمهِ الوحشي . اما مرغريت

فهالها الامر وابتعدت الى زاوية الغرفة حيث جثت وجعلت تبتهل الى الله ان يسكن غضب والدها والى والدها ان يخفف ما بهِ والى حبيبها ان ينجو بنفسهِ . ولما رأى البرتو انهُ يستحيل تسكين جأش عمهِ وان لا بد من مقابلتهِ بالمثل رفع الكرسي بيدٍ من حديد وضرب بها رأس عمهِ فشجهُ وللحال سقط السيف من يدهِ واختلج جسمهُ وسقط الى الارض . ولم يكن البرتو ينتظر هـذه النتيجة السريعة فوقف كالمبهوت ورمى بالكرسي الى الحائط . و بعد نحو خمس دقائق مرّت على تلك الحال فتح الاب عينيهِ وقال بصوت ضعيف سامحني يا البرتو سامحني قبل ان اموت ولك عندي وصاة فاقترب مني لابلغك اياها . واثر ذلك جدّا في البرتو فهطلت دموعهُ واقترب من عمهِ بغاية التأثر والشفقة والحزن واخذ منديلهُ يلتقط بهِ الدم المتدفق من جرح رأسهِ . واذا بمانولي قد ادخل يدهُ في صدرهِ واخرج منهُ خنجرا كالبرق الخاطف فاغمدهُ في قلب البرتو وقال بصوت كانهُ من ابالسة الجحيم . خذ هذه الوصية ايها اللعين انك لن تنال مرغريت ولن تحيا بعدي لتتلذذ بعد موتي وسر امامي الى النار الابدية مقرّ الـ . . . . . ثم اسكتهُ الموت عن تتمة كلامهِ . وكانت روح البرتو قد فاضت قبل ذلك ببضع ثوان مع الدم الكثير المتدفق من صدرهِ وفمهِ

ولما همدت حركة الجثتان نهضت مرغريت وقد اصابها شيءٌ من مثل الجنون فاقتربت الى حبيبها وجعلت تقبلهُ وترثيهِ بكلام يذيب الجلمود و بعد ان ودعتهُ بالقبلة الاخيرة نظرت الى والدها وقالت وانت ايها الظالم والجالب الويل والدمار اقبلك ايضاً فقد كنتَ والدي . ولما فعلت ارتعش جسمها ووثبت كانها مدفوعة بقوة غير منظورة الى نافذة الغرفة والقت بنفسها الى الخارج فتحطم رأسها ولم ينتبه اليها الخدم الا بعد ان اصبحت جثةً باردة

وانقرضت بهذه الفاجعة سلالة بادولي فاحيلت جميع مقتنياتها الى املاك الحكومة وانقطع بذلك ذكر اسمى اسرة وانمحى مجدُ ذلك البيت العظيم نتيجة حقد الاب الظالم الغشوم